شعبان عبد العزيز خليفة . نهر العمر ودهره : قصة حياة . - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥ . - ٤٢٥ص .

عرض : أ.د. حسناء محمود محجوب
كلية الآداب جامعة المنوفية

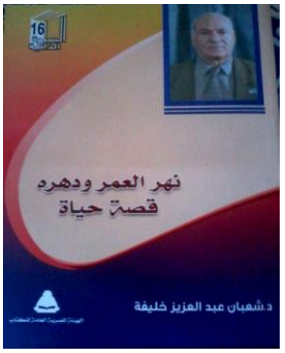

عروض الكتب وغيرها من مصادر المعلومات من الأعمال التى حرصت على كتابتها منذ بداية حياتى العلمية والبحثية لأنها عمل علمي يساعد الباحث ويساعد القارئ أيضا فى التعرف على أحدث ما نشر فى المجال ، كما إنه تدريب للباحث على العرض والصياغة لما يستوعبه من القراءات ، وأيضا تدريب له على إبداء رأيه فى الإنتاج الفكري المنشور سواء بالنقد أو التحليل أو السرد أو حتى بالاتفاق أو الاختلاف مع مؤلف العمل

ورغم ما يعتقده البعض من أن العروض عمل سهل فى كتابته وصياغته ولا تأخذ وقتا كبيرا من العارض ، ولكنى فى تجربتى مع هذه العروض كانت عكس هذا تماما ، فهى تأخذ الوقت الكثير سواء فى استيعاب النص المعروض أو فى التعبير والصياغة لما تم استيعابه ، لذا فقد ظللت فترة طويلة ممتنعة عن كتابة هذه العروض ، وربما من أهم أسباب هذا الامتناع ما يلي :

- **الوقت الذى تستغرقه فى إعدادها والذى استحال – للأسف الشديد – توفيره فى بعض الفترات**
- **لم أجد العمل العلمي الذى يجعلنى أخرج من هذا الموقف الامتناعى**
- **ترك الفرصة لشباب الباحثين للتدريب على هذا العمل العلمى الهام**

وعندما صدر هذا الكتاب للأستاذ الدكتور شعبان خليفة قرأته أكثر من مرة وحضرت أكثر من ندوة حوله وفى كل مرة أقرأ أى صفحة فيه أجد نفسي أندفع لعرضه ثم انتظر حتى يتقدم لباب العروض فى مجلتنا هذه عرض له من أحد الأبناء أو الزملاء ، ومرت حوالى سنة على اصداره توسمت خلالها فى بعض الزملاء قدرتهم على عرض هذا الكتاب ولكن كان لدى الجميع تخوف من عرض هذا العمل ، وكان التخوف المنهجى يتلخص فى أن الكتاب سهل وصعب فى آن واحد فهو ليس بالسهل الممتنع ولكنه بالسهل الصعب ، فأسلوب الدكتور شعبان معروف للجميع وعلمه وثقافته معروفة أيضا ، واستفادته من كل ذلك فى كتابته لسيرته الذاتية جعل كل من يريد كتابة العرض لا يجد الكلمات والعبارات والفقرات التى يمكن أن تصف هذا العمل ، كما إن الكتاب – رغم إنه سيرة ذاتية – يعتبر بمثابة تأريخ لنشأة وتطور تدريس علوم المكتبات وتأريخ لمهنة المكتبات وتأريخ لعدد غير قليل من المتخصصين فى المكتبات والمعلومات ليس في مصر وحدها ولكن أيضا في بعض الدول العربية ، وبالتالي فقد اضطرت إلى كتابة هذا العرض .

وليسمح لي أستاذى الفاضل الدكتور شعبان خليفة أن أستغل وأستفيد واقتبس الكثير من كلماته فى هذا العرض فلم أجد أفضل منها ، وليسمح لي قارئ هذا العرض أن أخالف شروط العرض فى التحيز للعمل المعروض ، فاعترف أنى متحيزة جدا لهذا العمل وأنى حاولت الابتعاد عن هذا التحيز بكل القوة ولم أستطع

ولو بدأت العرض بداية تقليدية بالحديث عن المؤلف لهذا العمل فسوف أجد نفسي أحيل القارئ إلى الكتاب نفسه وإلى كل صفحة من صفحات الكتاب ، فالدكتور شعبان يكتب سيرته الذاتية وبالتحديد بعض من سيرته الذاتية لأنه - على حد قوله- ليس هذا الكتاب يمثل السيرة كلها ولا يمثل المسيرة الحياتية له ، ولكنه يمثل أبرز ما في حياته العلمية والمهنية والبحثية حتى عند حديثه عن طفولته وعن بلده وقريته وعن أسرته الأولي المتمثلة فى الأب والأم والأخوة وكذلك عن أسرته الثانية المتمثلة فى الزوجة والإبن ، كان كل ذلك يظهر للقارئ مدى تأثير ذلك على حياته العلمية والمهنية ، وهى بالتأكيد جزء من سيرته الحياتية

اختار الدكتور شعبان عنوان فلسفى إلى حد كبير – وهو الشهير باختيار العناوين المميزة والمتميزة فى إنتاجه الفكري – فقد أطلق عليه عنوان رئيسي " نهر العمر ودهره " فوصف العمر أو حياة الإنسان بنهر بكل ما تتسم به الأنهار فمشاعر وأحاسيس الإنسان تتدفق مثل مياه النهر ، ويتولد عن هذا التدفق تفاعلات وانفعالات تنتج أحداث ، وجعل للعمر أيضا دهر بكل ما يعرفه الإنسان عن الدهر فالأحداث تنتج عمر يعيشه الإنسان فى رحلات قد يبلغ مداها دهر ، وحتى يكون هذا العنوان واضحا للقارئ وضع عنوان فرعى توضيحى وشارح هو " قصة حياة " ليوضح للقارئ أن هذا العمل عبارة عن قصة حياة هذا النهر وهذا الدهر

والقارئ للإنتاج الفكرى الذى يكتبه الدكتور شعبان يجد الكثير من مقدماته عبارة عن دروس فى موضوع العمل الذى يكتبه ، ومن هنا فليس غريب أن نجد مقدمة هذا العمل عبارة عن درس فى السير الذاتية وكتابتها ومواصفاتها وأهميتها وقد أطلق على هذه المقدمة عنوان " بين يدى السيرة " وقد بدأها بالأسباب التى تجعل الإنسان يقرأ سيرة إنسان أخر حيث لخص هذه الأسباب فى ١١ سببا منها : التأسى ، الاحتذاء والاقتداء ، التشفى والشماتة ، العلاج النفسي ، التنفيس ، ...الخ ، وبعد ذكر هذه الأسباب وشرحها عرف لمصطلح السيرة الذاتية ومفهومه وأصله اللغوى وبعض من تاريخ السير الذاتية فى العصور المختلفة فذكر أهم السير الذاتية فى العصور القديمة والتى منها بالتأكيد السيرة التى كتبها المؤرخ اليهودى والكاتب فلافيوس جوزيفوس الذى عاش بين ٣٧ – ١٠٠ م حيث عرف عنه أنه أول من كتب سيرة ذاتية فى هذا العصر ، ثم مر مرورا سريعا على العصور الوسطى الأوربية فوصف بأن السير الذاتية فى هذا العصر كانت قليلة نسبيا وانتقل إلى العصر الإسلامى حيث ذكر أن السير الذاتية خرجت من بطن علم الحديث النبوى ، وخرج من العصر الإسلامى إلى العصر الحديث فذكر نماذج من هذه السير مثل ما كتبه رفاعة رافع الطهطاوى وما كتبه محمد عبده فى مذكراته ، ثم محمد صادق الرافعى ومحمد حسين هيكل ، وذكر بعض النماذج الخالدة والتى اشتهرت فى العصر الحديث مثل : حياتى للعلامة أحمد أمين ، والأيام لعميد الأدب العربى طه حسين ، وقصة حياة لإبراهيم عبد القادر المازنى ، والبحث عن الذات للرئيس الراحل محمد أنور السادات

ثم أعطى نبذة سريعة ومختصرة عن بعض من السير الذاتية فى الغرب مثل السيرة الذاتية التى كتبتها النبيلة الأسبانية لينور لوبيز فى القرن الخامس عشر ، وسيرة اللورد هريرت من شيربرى فى القرن السابع عشر ، وسيرة جان – جاك روسو والذى أرسي للتيار الرومانسي فى كتابة السير الذاتية

أنهى الدكتور شعبان هذه المقدمة الدسمة بحقيقة أنه قرأ ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سيرة ذاتية وغير ذاتية أستفاد منها بالتأكيد فى كتابته لسيرته الذاتية هذه التى بين أيدينا والذى طبق فيها بصرامة معايير السير الذاتية الراقية – على حد تعبيره – وكانت الموضوعية هى أهم هذه المعايير المطبقة

وقد قسم الدكتور شعبان نهر عمره ودهره إلى خمس فصول أطلق على كل فصل منها رحلة من رحلات عمره بدءا من الرحلة الأولى والتى هى رحلة النشأة والتطور وانتهاءا بالرحلة الخامسة التى هى الرحلة الجامعية

الرحلة الأولى : الرحلة السرساوية : رحلة الحزن والألم المكتوم

رحلة النشأة والتطور فى القرية التى نشأ فيها ، فقد بدأ هذه الرحلة بوصف دقيق جدا لكل تفصيلات القرية فى هذا الوقت ، فقد رسم بكلماته خريطة تفصيلية للقرية يستطيع أن يتخيل بل يعيش كل قارئ أدق التفصيلات فى هذه القرية ، وصف البيوت ومواد البناء ، والشوارع وكيفية إضائتها ، والكهرباء عندما دخلت القرية وهو فى العشرين من عمره ، القطار الذى يعمل بالفحم والمحطة التى يقف فيها وكذلك أتوبيس منوف الذاهب إلى القاهرة ، وترعة السرساوية التى تفصل الضفة الشرقية عن الضفة الغربية بالقرية ، وصف سكان القرية ومن منهم حمل لقب البكاوية ، الحرف سواء أكانت حرفا موسمية كالمسحراتى أو حرف غير موسمية كسنان السكاكين ، وصف اللباس الغالب فى القرية وهو الجلباب والطاقية إلا الأفندية الذين يلبسون البدلة والطربوش ورجال الدين يلبسون الجبة والقفطان والعمامة ، والنساء يلبسن الجلباب الأسود والطرحة السوداء ، وصف العادات فى القرية مثل الحلاقة والختان واحتفالات العيد الصغير والعيد الكبير والمولد النبوى وموسم جنى القطن ، ووصف أيضا العادات الخرافية

انتقل داخل هذه الرحلة ووقف عند محطة الحزن والألم المقيم فى بيته بسبب دخول الكوليرا إلى البيت ، فوصف وصفا مبكيا موت أمه بالكوليرا وكيف كان حاله وهو فى الرابعة من عمره وهو يذهب إلى محطة القطار ثم محطة الأتوبيس ينتظرها عندما أخبروه أنها سافرت إلى القاهرة ، وكيف كان ينتظرها فى الترب عندما أخبروه أنها سافرت إلى الله فى الترب ، ثم وصف ذهابه إلى الكتاب وهو قبل السابعة من عمره والشيخ الذى كان يحفظه القرآن ، ومر على مراحل حياته المدرسية الابتدائية والإعدادية والثانوية ، ووقف عند سمات كثيرة له فى هذه المراحل المدرسية ، منها على سبيل المثال مدرس اللغة الإنجليزية فى المرحلة الإعدادية ، ومظاهر الرجولة فى تلك المرحلة السجائر والسباحة ، وبطولة القتونة التى لحقت به بدون سعى حينما ضرب أحد فتوات جيران السيدة التى كان يساعدها فى قضاء بعض حوائجها وكان فى الحادية عشرة من عمره

ثم شرح كيف كون المكتبة التى كان يعير منها الكتب لأهل قريته فكان الصبى المكتبي ، ثم روي تفاصيل المرحلة الثانوية وفصله من المدرسة وتخوفه لنقل الخبر لوالده ، ثم العدوان الثلاثى وكيف وهو فى المرحلة الثانوية وكان عمره ١٥ سنة يذهب إلى بور سعيد مع الشباب لكى يحارب ويتدرب على حمل السلاح ، ثم انتهى العدوان بدون حرب ورجوعه إلى القرية . وفى هذه المحطة أيضا أحبته ابنة مدير اليونسكو وكاد هذا الحب يطيح بمستقبله كله عندما أوشي به جنايني الفيلا الذى يسكنها المدير فخاف وانقطع عن اصحابه فى الفيلا حتى ذهب اليه المدير وطلب منه العودة وعرض عليه العمل فى الإجازة فى مكتبة مكتب اليونسكو فى تسجيل الكتب الواردة وأعطاه مكافأة عشرة جنيهات كاملة عن مدة خمسين يوما قضاها فى العمل بالمكتبة

وفى السنة الثانية ثانوية وصفه مدرس الجغرافيا بالذكاء عندما اكتشف أخطاء علمية فى المنهج ، وكذلك أشاد به مدرس الفلسفة عندما أعد بحثا فى مائة صفحة من مراجع لم تكن فى مكتبة المدرسة بل هى فى مكتبة اليونسكو ، وجاءت السنة النهائية فى المرحلة الثانوية والتفوق فيها وحصوله على المركز الأول

ثم الوعد بالسفر والدراسة خارج مصر ، وكيف ألغى جمال عبد الناصر السفر للطلاب لأن اسرائيل كانت إحدى محطات هذه الزيارات

وأنهى هذه الرحلة الأولي رحلة السرساوية بحزن وألم مرة أخرى بضياع حلم السفر والرضا بالواقع والذهاب إلى القاهرة لتبدأ الرحلة الثانية فى البحث عن مكان تحت شمس القاهرة ، وفى كل مراحل هذه الرحلة الأولى سجل للعديد من الأحداث التاريخية التى يمكن اعتبارها بالشهادة على العصر

الرحلة الثانية : الرحلة إلى القاهرة : رحلة تحصيل العلم العالى والبحث عن مكان تحت الشمس

بدأ الدكتور شعبان رحلة تحصيل العلم العالى فى جامعة القاهرة بالحديث عن المرات السابقة لهذه الرحلة والتى ذهب فيها إلى القاهرة والمواقف التاريخية التى مرت بحياته فى هذه الرحلات للقاهرة مثل حضوره احتفالات زواج الملك فاروق من السيدة ناريمان سنة ١٩٥٠ وتناوله العشاء فى قصر عابدين ، وحضوره حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ثم اشتراكه فى مظاهرات الصراع على السلطة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ... وغير ذلك من أحداث تاريخية صادفت وجوده فى القاهرة قبل هذه السفرة الكبرى - كما أطلق عليها – للالتحاق بجامعة القاهرة

ربما أطلق الدكتور شعبان على سفره للالتحاق بجامعة القاهرة السفرة الكبرى لأنها السفرة التى أدخلته جامعة القاهرة فى العام الجامعى ١٩٥٩ / ١٩٦٠ واستمرت حتى الآن وإلى ما يشاء الله سبحانه وتعالى ، وقد استمر يحكى عن القسم – المكتبات والوثائق – الذى التحق به داخل كلية الاداب فوصف كل شئ بالقسم من طلاب وأساتذة ومدرجات وطلاب عرب من دول عربية مختلفة ، وصف الامتحانات فى الفصول الدراسية المتعاقبة ، وصف سكنه ومرافقيه فى السكن فى القاهرة ، كتب عن كل من قابلهم فى هذه الفترة من حياته وعن مواقف تاريخية تعاقبت فى هذه الفترات مثل نكسة ١٩٦٧ ، تمثيلية تنحى جمال عبد الناصر ، تمثيلية محاولة اغتيال جمال عبد الناصر ... الخ ذلك من فترات تاريخية مرت بها مصرنا الحبيبة وكان هو شاهد عيان عن أحداث هذه الفترة

ثم أفرد الحديث عن أحد أهم الأساتذة الأوائل فى التخصص ألا وهو الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر فهو بالفعل كما وصفه ظاهرة ، ظاهرة في علمه وثقافته ، ظاهرة فى أسلوب حياته ، ظاهرة فى معاملته مع طلاب وظاهرة فى تعاملاته مع كل شئ ، سرد بعض المواقف المضحكة وبعض المواقف المبكية لهذا الأستاذ العظيم رحمه الله ، وربما من أطرف المواقف عندما أراد أن يتعرف على صوت الطالب الذى شتمه وهو يمر أمام مكتبة الجامعة وكيف أوقف بعض الطلاب ومنهم الدكتور شعبان ليتكلم أية عبارات يسمع فيها صوته ويقارنها بالصوت الذى شتمه

وأعطى نموذج رائع للشباب عندما عمل فى مصلحة الاستعلامات سكرتيرا للموسوعة المصرية وهو مازال طالبا وكيف استفاد من هذا العمل ، ثم تكلم عن تكليفه كمعيد بجامعة القاهرة فى منتصف أغسطس من عام ١٩٦٣ وحكايات رائعة عن هذه الفترة من عمر شاب تخرج فى الجامعة بتفوق وأصبح معيدا ويريد أن يعيش حياة جديدة فيذهب الى فندق هيلتون ويحضر حفل لأم كلثوم ... وما شابه ذلك

ثم كتب جزء من تاريخ مصر وبعض الأشخاص والمواقف التاريخية التى أثرت في حياته فى هذه الرحلة ، فكتب عن جمال عبد الناصر أبو الهزائم ، وكتب عن معسكرات الصيف الطلابية ، وكتب عن جيهان السادات فى كلية الآداب ، وكتب أيضا عن الندوة الدولية لحرب أكتوبر

الرحلة الثالثة : الرحلة العربية : رحلة نشر علم المكتبات والمعلومات فى الوطن العربى وجمع بعض المال اللازم

وهى رحلة العمل والزيارة للعديد من الدول العربية حيث بدأها فى جدة فى جامعة الملك عبد العزيز فى العام الجامعى ١٩٧٦ / ١٩٧٧ سجل فى هذه الرحلة جميع المواقف التى مر به وكتب عن الأفراد الذين تواجدوا معه فى هذه الفترة سواء من السعوديين أو المصريين أو من الجنسيات الأخرى التى قابلها فى رحلته هذه ، تكلم عن زيارته للكعبة الشريفة فى أول مرة في حياته ، تكلم عن زياراته لمصر فى الإجازات ، تكلم عن اختياره للسفر لأمريكا في هذه الفترة والأشخاص الذين ساعدوه فى ذلك وفى مقدمتهم الدكتور محمد أمان

ثم عرض للفترة ما بين الإعارتين ، تلك الفترة النى كان لابد أن يقضيها فى جامعة القاهرة بعد انتهاء فترة إعارته فى جدة ، وقد قابل فى هذه الفترة وبالتحديد فى ديسمبر ١٩٨٠ زوجته الدكتورة علية خطاب والتى كانت حتى هذا التوقيت مجرد زميلة تعمل بقسم اللغة الألمانية وأدبها ، حيث اتفق معها على الزواج فى مايو ١٩٨١ وسافر لأمريكا لقضاء الصيف كعادته ثم عاد وتزوجا فى سبتمبر ١٩٨١ وقضيا شهر العسل فى اسبانيا ، وعمل أيضا فى الفرة ما بين الاعارتين منسقا للعلاقات المصرية البريطانية وكيف أفاد القسم والكلية بهذا العمل التنسيقى

وظل يسرد مشكلات قسم المكتبات والوثائق فى هذه الفترة ومشكلات الافراد واعضاء القسم وخاصة الصراع ما بين الدكتور عبد اللطيف إبراهيم رحمه الله والدكتور عبد الستار الحلوجى وبعض المواقف ما بين الطرفين وتواجده هو وانحيازه لطرف منهما ... وما إلى ذلك حتى استقر به الحال فى العام الجامعى ١٩٨٦ / ١٩٨٧ فى جامعة قطر وهى الإعارة الثانية له وكعادته يفرد صفحات كثيرة لعلاقات متشابكة بين الأفراد والمهام والطلاب الذين يقابلهم في كل رحلة سواء داخل التخصص أو خارجه وسواء فى السكن أو داخل الكلية والجامعة من مسئولين كبار وغير مسئولين ويحكى مواقف يمكن أن يكون كل موقف فى حد ذاته قصة أو رواية تصلح لأن تكون تمثيلية تلفزيونية أو حتى مسرحية

ثم توقف فى هذه الرحلة عند محطة جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان والذى بدأها فى الفصل الدراسي الثانى من العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ وتكلم أيضا فى هذه المحطة عن كل شئ داخل الجامعة والقسم والأفراد والمواقف مع كل هؤلاء

وأخر محطاته فى هذه الرحلة العربية كانت مع الاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات وإنشاءه فى تونس وكيفية المحاربة على تواجده واستمراره ثم تطويره ومؤتمراته ونشاطه والخروج بهذه المؤتمرات خارج تونس ثم تعريب خطة تصنيف ديوى وما أثير حول هذه الترجمة ومؤامرات فض هذا العمل القومى

الرحلة الرابعة : الرحلة العالمية : رحلة البحث عن الله والخلق

فى الحقيقة منذ قرأت كتاب ٢٠٠ يوم حول العالم لأنيس منصور وأنا فى المرحلة الثانوية ، لم أقرأ كتاب يلف العالم بهذه الطريقة الشيقة حتى قرأت هذه الرحلة للدكتور شعبان ، هى رحلة بل رحلات إلى دول الغرب والشرق ، وكما ذكر فى مقدمة هذه الرحلة أن السبب الرئيسي الذى جعله ينوى ويصر على القيام بهذه الرحلات ذلك الاحباط الذى أصابه مرتين من جمال عبد الناصر حينما حرمه باعتباره الأول على الثانوية العامة من الالتحاق بالمدرسة الدولية فى بوسطن كما هو المعتاد للأوائل بسبب ان الرحلة ستتوقف فى إسرائيل وكذلك عندما حرمه من الابتعاث إلى الخارج بعد تكليفه كمعيد فى قسم المكتبات والوثائق جامعة القاهرة

وقد بدأ سلسلة رحلاته الخاصة من الولايات المتحدة وبريطانيا كلاكيت أول مرة وكان ذلك فى صيف ١٩٧٧ حيث كان معارا فى جدة واتصل بالدكتور محمد أمان وارسل له دعوة وذهب إلى جامعة لونج أملاند ، ورسم لنا الدكتور شعبان هذه المحطة بالتفصيل كل ما شاهده فى نيويورك ، ولونج أيلاند ، ومكتبة الكونجرس ، والكثير ممن قابلهم سواء مصريين وعرب أو أمريكان ... الخ ، وفى هذه المحطة أيضا توقف فى بريطانيا وكتب عن فندق مينور لودج و لندن وشارع أكسفورد وحديقة هايد بارك والمتاحف البريطانية وقصر المجوهرات الملكية وبالتأكيد المكتبة البريطانية

المحطة الثانية كانت المغرب وتونس كلاكيت أول مرة ، ومما دعاه إلى القيام بهذه الرحلة هو صديقه السعودى الذى يعمل فى شركة الطيران السعودية والذى أهداه تذاكر مجانية وحدد له دول يختار منها فاختار للرحلة أن تكون القاهرة – لندن – الرباط – تونس – القاهرة وكان ذلك فى صيف ١٩٧٨ ووصف كل ما شاهده فى هذه الأماكن وصفا دقيقا

وجاءت الولايات المتحدة (كلاكيت ثانى مرة) فى صيف ١٩٨٠ حيث قضى فيها أربع شهور فى مدرسة المكتبات بجامعة ولاية ويسكونسن – ميلووكى ووصف لنا الولاية والمدينة وصفا كاملا ودقيقا وكانت بعض عباراته وفقراته تشعرك أنك تعيش فى هذه الأماكن

رحلة الأحلام بالنسبة له كانت رحلته إلى كاليفورينا وهاواى ولاس فيجاس ، وكان صديقه عبد العزيز النهاري الذى تخرج فى قسم المكتبات جامعة الملك عبد العزيز قد ابتعث للحصول على الدكتوراه فى أمريكا وكان صيف ١٩٨٠ فدعاه لمنزله فى سنتامونيكا ، وقد كتب عن لوس أنجيليس المدينة القديمة العتيقة التى تكثر بها الخرافات والأطلال واشاعات العفاريت التى تسكن الخرابات ، كما كتب عن مدينة الملاهى ديزنى لاند فى كاليفورنيا ، وحديقة الحيوان فى سان دييجو ، والبحيرات الصناعة التى تسبح فيها الدرافيل والدلافين فى نت بيرى فارم

وذكر بالتفصيل الرحلات التى نظمها أثناء توليه التنسيق للعلاقات المصرية والبريطانية وعدد أعضاء قسم المكتبات بجامعة القاهرة الذين كان سببا فى سفرهم والمنح التى حصلوا عليها للحصول على درجات أكاديمية ... الخ

ورحلته الغريبة والعجيبة كانت إلى ألاسكا أكبر الولايات الأمريكية مساحة وأقلها سكانا وأغناها طرا بالبترول ، تلك الرحلة التى قال عنها أنه رأى الله فى ألاسكا ووجده فى مكة ، حيث رأى الله فى ألاسكا فى الظواهر الكونية التى لا نصادفها هنا فى الشرق ، رأه فى ٨٢ يوما التى كلها نهار وال ٦٧ يوما كلها ليل ، رأه فى نهار الخمس دقائق وليل الربع ساعة ، رأه فى الشمس والنهار الطالعين على يمينه والليل والقمر والنجوم الساطعة على يساره فى نفس الوقت ... رأه فى كل هذه الظواهر وغيرها ، ووجد الله فى مكة فى ملايين البشر التى تطوف بالبيت العتيق وتسعى بين الصفا والمروة ، ووجده فى مكة فى سحابة تظللهم ونحن نصلى الجمعة فى يوم قائظ شديد الحرارة

ذهب الدكتور شعبان فى رحلاته الخارجية إلى جزر البهاما والجزر العذراء الأمريكية ، فجزر البهاما هى أول مرسى لسفن كريستوفر كولومبوس فى المكان التى أسست فيه العاصمة ناسا ، وأصبحت هذه الجزر الآن من جزر البحر الكاريبى أو جزر الهند الغربية ، وقد زار هذه الجزر فى صيف ١٩٨٧ وعددها ٧٠٠ جزيرة ما بين صغيرة وكبيرة ، ووصف الجزر التى زارها منها بدقة رائعة . أما الجزر العذراء فقد زار منها ما يتبع الولايات المتحدة لأنه يملك تأشيرة دخول أمريكا ، فمن المعروف أن الجزر العذراء تقع فى منطقة الكاريبى وتتكون من محميات طبيعية تتبع عدة دول وهى أمريكا وبريطانيا وهولندا يجمعهم معا الجمال الطبيعى ويضمها إلى نسيج جزر الكاريبى ككل

دعوة من صديق مصرى هاجر إلى كندا للدكتور شعبان جعلته يقضى صيف ١٩٨٩ بين شلالات نياجرا ويكتب عن فتى الركشة الكندى . وقبل ذهابه إلى امريكا فى هذا الصيف وجد من حق ابنه البالغ من العمر ست سنوات أن يزور الجامعة التى تخرجت فيها أمه وهى جامعة فرايبورج فى ألمانيا فارتحل هو وأسرته إلى ألمانيا الغربية ، وزار برلين عاصمة ألمانيا الشرقية وذلك كله قبل توحيد ألمانيا ووصف لنا هذه الرحلة السياحية العائلية الرائعة

قبرص اليونانية تلك الجزيرة التى لا تملك المعالم السياحية ولكنها بارعة فى بيع السياحة فرغم إنها لا تملك آثار تذكر أو خوارق طبيعية ، فهى تبيع الماء والهواء والمناظر الطبيعية للسياح ، كما تبيع لهم حسن الخلق وحسن المعاملة والابتسامة الرطبة الحلوة ، زارها الكتور شعبان وكتب عنها الكثير

ولأن الدكتور شعبان كان دائما يستفيد من السبع فوائد للسفر فقد حرص طيلة حياته الاشتراك فى الجمعيات والاتحادات المهنية والتى تقوم بتنظيم مؤتمرات سنوية تجوب مدن ودول مختلفة حتى تكون له الفرصة فى السفر والسياحة والعلم والمهنة ... وما إلى ذلك ، من هذه الاتحادات التى اشترك فيها اتحاد المكتبات الأمريكية فذهب فى صيف ١٩٩٢ مع أول مؤتمر يحضره مع هذا الاتحاد إلى ميامى بيتش فى ولاية فلوريدا ، ومن المعروف أن ميامى هى سكن علية القوم والأغنياء من أمريكا وكثير من دول العالم وقصورهم وفيللاتهم تتحلق الشاطئ فى خليج فلوريد ، وقد شرح لنا تفاصيل كثيرة من أعلى طابق فى فندق هيلتون فونتين بلو التى كانت حجرته فيه ، كما وصف لنا حوار له فى التلفزيون الأمريكى عن الإنترنت الذى كان حديث العهد فى أمريكا فى ذلك الوقت ، وبالتاكيد وصف لنا كل مكان فى هذه الزيارة

يعطى الدكتور شعبان للشباب درسا مباشرا فى الحياة ، فبالإضافة إلى أن كل الكتاب يعتبر دروسا كثيرة فى الحياة والعلم والمهنة ، إلا أن هذه المحطة من رحلته هذه تعتبر درسا رائعا ، ففى صيف ١٩٩٢ / ١٩٩٣ وبعد انتهاء اعارته فى قطر تقلبت الأحوال الاقتصادية عالميا وخسر ٩٠% من مدخراتى ولم يكن يملك ممتلكات أو عقارات ، وصادف هذا العام أيضا تعرضه للعديد من المؤامرات لوجوده مشرفا على بعض أقسام المكتبات فى مصر فى الصعيد وفى طنطا ، وفى كل هذه الأجواء المالية والنفسية والحياتية ويقرر الابتعاد بعض الوقت عن كل هذا لأنه يحب الحياة ولا يحب أن يعيش بعض الوقت فى هذه الحياة فى ضيق وهم وحزن ، فقرر يأخذ أسرته وينطلق إلى النمسا بلد الموسيقى والجمال فحجز مع أحد الشركات السياحية وذهب إلى هناك ووصف لنا معالمها الجميلة والشباب المصرى الذى يعمل هناك بكثرة والاتراك ومطاعمهم المنتشرة هناك ... وكل ذلك وغيره

ارتحل الدكتور شعبان كثيرا مع الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات (إفلا) فى أماكن لم يستطع زياراتها بمفرده ومنها الصين تلك البلد الاسيوى الذى زاره مع مؤتمر الاتحاد عام ١٩٩٦ ، هى بلد اختراع الورق واختراع البارود واختراع الحبر ، هى بلد اختراعات للعديد من الأشياء المؤثرة فى العالم كله ، وهى الان البلد المفتوحة على العالم كله والتى غزت منتجاتها كل شبر فى اى دولة فى العالم كله ، وصف لنا الدكتور شعبان ارادة الشعب فى تحدى الصعاب وصف بالتاكيد سور الصين العظيم ، وصف حتى التاكسي فى الصين

جاء الدور على تايلاند بلد العشرة ملايين مسلم والثلاثين مليون بوذى والتى حمد الله فى هذه المحطة الذى جعله يكتشف مدينة أقذر وأكثر ضوضاء وأعنف تلوث سواء التلوث السمعى والتلوث البصرى والتلوث الهوائي وايضا التلوث الغذائي من مدينة القاهرة ، وهي مدينة بانكوك عاصمة تايلاند

ومن النمور الأسيوية التى زارها الدكتور شعبان وتكلم عنها فى هذه الرحلة ، كوريا الجنوبية إحدى النمور الأسيوية والتى دخلها مع مؤتمرات إفلا أيضا ، وحضر فيها إلى جانب فعاليات مؤتمر افلا مهرجان الحوامل السنوى ، وتكلم أيضا عن الطبلة فى كوريا والؤلؤ الذى يحمله كل زائر لهذه المدينة

وفى أثناء هذه الرحلة توقف الدكتور شعبان مع حادثتين تكلم عنهما باستفاضة : الأولى مقابلته لهلاري كلينتون وهو يرتدى قميص نصف كم وشورت وشبشب ، والثانية وجوده فى بوسطن فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

اختتم رحلته هذه بالحديث عن انتقاله فى السكن الذى تعود النزول فيه سنويا فى ميلووكى ، والذى وصف هذا الانتقال أنه انتقل من زمالك ميلووكى إلى إمبابة ميلووكى

الرحلة الخامسة : الرحلة الجامعية : لماذا انحدرت الجامعة المصرية إلى هذا الدرك

هى رحلة نصف قرن عمل فيها الدكتور شعبان بالجامعة حيث بدأ حياته العملية فى جامعة القاهرة فى اكتوبر ١٩٦٣ وبإذن الله بالصحة وطول العمر ستنتهى حياته العلمية بالجامعة ذاتها ، ولكن فى اكتوبر ٢٠١٣ قضى نصف قرن كامل فى العمل بالجامعة وبعقلية وبشخصية مثل الدكتور شعبان يكون قادر على توصيف الأسباب الحقيقية لانحدار الجامعة المصرية أو الجامعات المصرية ، ركز على ١٧ سبب كانت أهم أسباب الانحدار نتمنى أن يطلع عليها وزير التعليم العالى ليبدأ فى اصلاح التعليم أو نحلم ، والحلم درجة أعلى من التمنى أن يكون الدكتور شعبان وزيرا للتعليم العالى ليبدأ هو نفسه فى اصلاح الجامعات لعل وعسى أن نجد الجامعات المصرية صلح حالها فى حياتنا

اختتم الدكتور شعبان رحلته هذه بتقرير نهائي وحساب ختامي والاستئذان فى الانسحاب التدريجى ، ورغم أن هذا التقرير وقع فى ١٢ صفحة إلا أن كل سطر فيه يشعر القارئ أنه أمام شخصية غير عادية ، شخصة عالم بمعنى الكلمة ، شخصية وطنية على أعلى مستوى ، شخصية تعجز الكلمات عن وصفها ، ولا نملك أمام هذه الشخصية إلا أن ندعو الله سبحانه وتعالى للدكتور شعبان بالصحة وطول العمر .... وأن يجزيه الله خيرا عن كل يوم قضاه فى حياته ويجعل كل جهد فى هذه الحياة فى ميزان حسناته ... إنه سميع الدعاء مجيب الرجاء

الكتاب به ملحق ببعض الصور الشخصية للدكتور شعبان وبعض صور المقالات التى كتبت عنه فى الجرائد المحلية والعالمية وهو ملحق ضعيف فى طباعته ربما لأنه كان يحتاج أن يكون ملون وعلى ورق مخصوص ولكنه إلى حد ما يفى بجزء من الغرض المعمول له

وإذا أردنا تلخيص الكتاب فى أرقام وهو الكتاب الذى فضل الدكتور شعبان نشره فى دار نشر حكومية مصرية وهي الهيئة المصرية العامة للكتاب نجده فى الارقام التالية :

- **الكتاب رقم ١٦ فى سلسلة السيرة الذاتية**
- **يقع فى ٤٢٥ صفحة من القطع المتوسط**
- **احتلت المقدمة " بين يدى السيرة " ١٩ صفحة**
- **الرحلة الأولى : ٧٢ صفحة**
- **الرحلة الثانية : ٧٤ صفحة**
- **الرحلة الثالثة : ٥٦ صفحة**
- **الرحلة الرابعة : ١١٠ صفحة**
- **الرحلة الخامسة : ٥٨ صفحة**
- **ملحق الصور : ٣٤ صفحة**

إن هذا الكتاب ممتع بمعنى الكلمة ، فهو كتاب تاريخى وكتاب علمى وكتاب اجتماعى وكتاب مهنى ... إنه كتاب رائع بمعنى هذه الكلمة ، عندما تبدأ فى قرأته لا تتوقف عن القراءة وإذا اضطررت للتوقف تجد نفسك تفكر فيما قرأت ولا تملك التركيز فى أي شيء حتى تجلس لتكمل القراءة ، وإذا انتهيت من قرأته تجد نفسك تبدأ من جديد فى قرأته مرة أخرى ، أتمنى ألا يفوت أي شخص وخاصة الشباب قراءة هذا الكتاب